

الإحالة بالضمير في القصص القرآني وأثرها في سبك النص (سورة يوسف نموذجاً)

عبد الإله محمد الخضير

أستاذ علم اللغة التطبيقي المساعد، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة

(قدم للنشر في ١٢/٦/١٤٤٢هـ، وقبل للنشر في ١٥/٩/١٤٤٢هـ)

الكلمات المفتاحية: الإحالة، الضمائر، القصص القرآني.

ملخص البحث: يتناول الباحث في هذه الدراسة الوصفية التحليلية، في الجانب النظري، الإحالة بالضمير بنوعها (نصية- مقامية)، في القصص القرآني، منطلقاً من مفهوم النص ومعايير النصية، وصولاً إلى الإحالة بوصفها معياراً نصياً مهماً في سبك النص من جهة، وربطه بمقامه الخارجي من جهة أخرى. تُحلل الدراسة في جانبها الإجرائي مواضع الإحالة باستعمال الضمير في سورة يوسف، بوصفها نموذجاً للقصص القرآني، مع التمثيل بآيات من السورة. وتثبت الدراسة النتائج الآتية: الإحالة بالضمير من أشهر أدوات الإحالة في القصص القرآني وقد تتعلق فهم أحداث النص القصصي في القرآن بتحديد مرجع الضمير ومعرفته. قد تُستعمل ضمائر الحضور (المتكلم والمخاطب) للإحالة النصية في القصص القرآني، وذلك عند سرد الحوارات بين شخصيات القصة. معظم الإحالات النصية باستعمال الضمائر في سورة يوسف هي للإحالة القبليّة، وهذا يثبت أن الإحالة القبليّة هي أكثر الإحالات وروداً في النصوص العربية. قد تُستعمل ضمائر الغائب للإحالة المقامية في القصص القرآني، فيساعد السياق والموقف الخارجي للنص في فهم مرجع الإحالة. قد يُستعمل ضمير الغائب المفرد في الإحالة إلى مقطع في النص في القصص القرآني، مثل استعمال اسم الإشارة المفرد لهذا النوع من الإحالة.

Anaphoric Pronoun in Quranic Stories) and its Impact on the Cohesion of Text (Surat Yusuf as an Exemplar)

Abdul Ilah Muhammad Al-Khudairi

Assistant Professor of Applied Linguistics, Arabic Language Teaching Institute, Islamic University, Madinah
(Received:12/6/1442 H, Accepted for publication: 15/9/1442 H)

Keywords: anaphora, pronouns, Quranic stories.

Abstract. The researcher in this descriptive analytical study addresses both types of reference (endophoric and exophoric) in the theoretical part, using anaphoric pronouns in Quranic stories. This starts with the concept of "text" and textuality criterion, and moves on to the so-called "anaphora" as a text criterion in text cohesion on one hand, and relating it to exophoric context on the other hand. In the applied part, the study analyses anaphora positions using the pronouns in Surat Yusuf as it is an exemplar for Quranic stories and exemplifying the phenomenon with some verses. The study came to the following results. First, anaphoric pronouns are the most popular items of anaphora in Quranic stories (Surat Yusuf), and that comprehension of text events may be related to anaphora. Second, the pronouns of the first person and the second person may be used as anaphora in Quranic stories when text included dialogs between the story characters. Third, the most common references in Surat Yusuf are anaphoric, which demonstrates that it is the most frequent in Arabic texts. Fourth, the third person pronouns may be used for exophoric references in Quranic stories, and the context assists in understanding the anaphora. Fifth: a third person singular pronoun may be used to refer to a passage in the text of Quranic stories, such as the use of singular determinants for such references.

مقدمة

ويُدرس الضمير في أبحاث لسانيات النص ودراساته ضمن معيار الإحالة في النص، حيث ينظر إلى الضمير بوصفه أداة إحالة، وتنقسم هذه الأداة إلى نوعين بالنظر إلى مرجع الضمير. فإن كان المرجع مذكوراً في النص، فالإحالة نصية، سواء أكان المرجع سابقاً أم لاحقاً للضمير. وإن كان مرجع الضمير خارج النص فالإحالة مقامية، حيث يُفهم مرجع الضمير من مقام النص (البطاشي، ٢٠١٣). والضمائر بأنواعها كثيرة وشائعة في النصوص، وهي تسهم في بناء النصوص وتشكلها، سواء من حيث البناء الظاهري للنص، أو من حيث إنتاج النص وارتباطه بالمقام الخارجي.

وهذا البحث هو دراسة وصفية تحليلية تهدف إلى وصف وتحليل ضمائر الإحالة الواردة في القصص القرآني (سورة يوسف نموذجاً)، من خلال تحديد نوع الإحالة باستعمال الضمير في السورة (إحالة نصية، أو إحالة مقامية). ثم تحديد مرجع الإحالة سواء أكان المرجع مذكوراً في النص (إحالة نصية)، أم كان المرجع غير مذكور في النص، وذلك في الإحالة الخارجية. مع تبين أثر الإحالة في ربط أجزاء النص القصصي القرآني بعضها ببعض من جهة، وأثر الإحالة في إنتاج النص وتعلقه بالمقام الخارجي من جهة أخرى.

تقسم الدراسة الضمائر في سورة يوسف إلى ضمائر غياب، وضمائر حضور (ضمائر المخاطب والمتكلم)، وتحدد الدراسة مدى شيوع كل ضمير وحده في السورة وتكراره. وسورة يوسف سورة مكية، تتناول في معظم آياتها قصة نبي الله يوسف عليه السلام، وهي قصة تمتاز بقوة الحكمة وارتباط أحداث القصة بعضها ببعض، بدءاً من رؤيا يوسف وانتهاء بتأويل الرؤيا (العامري، واليوسف، ٢٠١٤). وقصة يوسف تُعدُّ أطول قصة وردت في موضع واحد في القرآن الكريم، حيث بلغ عدد آيات القصة تسعاً وتسعين (٩٩) آيةً من مجموع آيات السورة وعددها مائة وإحدى عشرة (١١١) آية.

الدراسة النظرية:

المبحث الأول: النص:

(أ) مفهوم النص:

من القضايا الأساسية التي اهتمت بها دراسات لسانيات النص، تعريف النص، فقد عرفه أحمد المتوكل (٢٠١٣) بأنه:

الضمير ركن أساس في الجملة العربية، سواء أكانت الجملة اسمية أم فعلية، فقد درس نحاة العربية الضمير ضمن دراستهم للجملة. ومن دراسة الضمائر عند نحاة العربية إشارتهم إلى استخدام الضمير للربط داخل الجملة، أو لربط الجمل بما يسبقها. فقد عدَّ ابن هشام (١٩٩١) الضمير من الروابط بين الكلمات والجمل، وأشار إلى بعض الجمل التي يجب أن تشتمل على روابط تربطها بكلمات أو جمل سابقة مثل الجملة التي تقع خبراً، والجملة التي تقع صفة، وجملة صلة الموصول، والجملة التي تقع حالاً، والجملة المفسرة، وجملة جواب اسم الشرط (مَنْ)، والجملة في باب التنازع. وروابط هذه الجمل هي الضمائر غالباً.

وفي الإعراب النحوي تدرس الضمائر بوصفها أسماء مبنية، سواء أكانت منفصلة أم متصلة. وتعرب الضمائر المنفصلة في محل رفع ما عدا الضمائر المبدوءة بكلمة (إيا)، مثل (إيأي- إيانا- إياك..)، فهي تقع في محل نصب (الراجحي، ١٩٩٩).

ورغم اهتمام النحاة بدراسة الضمير من ناحية إعرابه وموقعه في الجملة، فإن الباحث لم يعثر على دراسة نحوية قديمة أو حديثة، أشارت إلى أثر الضمير في تماسك الجمل وتعلقها ببعض. والمشهور في قواعد النحو، أن الضمير لاسمياً ضمير الغائب يعود إلى أقرب اسم سابق، وهذا يخالف الدراسات النصية التي تشير إلى إمكانية عود الضمير إلى مرجع لاحق في النص، سواء أكان المرجع كلمة أم جملة.

إنَّ الضمير يُدرس في دراسات لسانيات النص بوصفه أداة تسهم في بناء الجمل في النص، وتعلقها ببعض، وينصب الاهتمام في تلك الدراسات على معايير نسج النص ظاهرياً ومعنوياً. وهذه المعايير تكون أدوات لفظية ظاهرة في النص، أو تكون معايير معنوية منطقية، تؤدي إلى تعلق معاني النص بعضها ببعض.

فالمعايير اللفظية هي أدوات تظهر في النص وتؤدي إلى سبك النص وارتباط أجزائه ببعض. ومن المعايير النصية المتعلقة بسبك النص معيار الإحالة، وهو معيار لفظي ودلالي، ومن أشهر أدوات الضمير.

(ب) معايير النص:

اهتمت دراسات لسانيات النص وأبحاثه بدراسة معايير النص، وهي إما معايير لها ألفاظ خاصة تظهر على سطح النص، وإما معايير معنوية منطقية تؤدي إلى تعلق قضايا النص ومفاهيمه بعضها ببعض.

ويوجد اختلاف في المراجع العربية في تسمية مصطلحين يشيران إلى معايير النص. وهذا الاختلاف في التسمية مرده إلى عدم الاتفاق في ترجمة المصطلحين (Cohesion,) Coherence من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، فبعض الدراسات تستخدم مصطلح (الاتساق)، أو (الروابط)، أو (السبك) للمعايير اللفظية الظاهرة في النص، وبعضها تستخدم (التماسك)، أو (الانسجام)، أو (الحبك) للمعايير المعنوية المنطقية التي تربط قضايا ومفاهيم النص (الزناد، ١٩٩٣).

من الذين اختاروا مصطلح (الاتساق) للإشارة إلى معايير النص اللفظية، محمد خطابي (٢٠١٢) الذي يبين أن الاتساق يظهر على المستوى الدلالي، والمستوى اللفظي، ومن صورته: الإحالة، والربط في النص. وعرف خطابي الاتساق بقوله: "يقصد بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب، أو خطاب برمته" (ص ٥). واختار الباحث في هذه الدراسة مصطلح (السبك) بدلاً عن (الاتساق)، للإشارة إلى الأدوات اللفظية الظاهرة التي يستعملها الكاتب في بناء النص وتركيبه، نظراً إلى أن بناء النص هو بمثابة سبك ألفاظ وجمل.

فالعلاقة التي تنشأ بين أجزاء النص هي علاقة لفظية ودلالية من خلال أدوات (السبك)، أو علاقة معنوية منطقية من خلال التعلق بين مفاهيم النص (الحبك). وهاتان العلاقتان تمثلان البنية الداخلية للنص، أما البنية الخارجية فيمثلها المقام والموقف الذي أنتج فيه النص (خطابي، ٢٠١٢).

سبك النص، يعني وجود ألفاظ وعبارات تعلق أجزاء النص بعضها ببعض. وللسبك أهمية في بناء النص، فهو يظهر من خلال الارتباط اللفظي، والدلالي بين جمل وعبارات النص.

" كل وحدة تواصلية تعدت الجملة الواحدة سواء أكانت الجملة بسيطة أم معقدة. النص إذن مجموعة من الجمل البسيطة، أو مجموعة من الجمل البسيطة والمعقدة تشكل خطاباً، أي وحدة تواصلية تامة" (ص ٦٣١).

وعرف الأزهر الزناد (١٩٩٣) النص بقوله: "النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح النص" (ص ١٢).

وحدد Jack Richards و Richard Schmidt (٢٠١٠) النص بكونه: قطعة لغوية مكتوبة أو منطوقة، تتكون من مجموعة من الجمل، ولها غرض ودلالة خاصة، وتفهم وفقاً لسياق ومقام محدد.

واشترط محمد خطابي (٢٠١٢) في النص شرطين هما: أن يتكون من جمل متتالية، وأن تكون بين هذه الجمل علاقات. يقول خطابي: "تشكّل كل متتالية من الجمل نصاً شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو بالأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات" (ص ١٣).

ويتفق طه عبد الرحمن (٢٠٠٠) مع الخطابي، في وجوب تعلق جمل النص بعضها ببعض، فقد عرفه عبد الرحمن بأنه: "بناء يتركب من عدد من الجمل المرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات" (ص ٣٥).

ويلحظ الباحث في تعريفات النص السابقة ما يأتي: أولاً: يتحقق النص عند وجود جمل ترتبط فيما بينها بعلاقات. فقد اشترط (خطابي، وعبد الرحمن) وجود علاقات تربط جمل النص بعضها ببعض، بحيث ترتبط كل جملة في النص بجملة أو جمل أخرى، من خلال علاقات لفظية، ودلالية. وتضمن تعريف (الزناد) أن النص نسيج من الجمل، وهذا يعني ضرورة وجود جمل مترابطة ليتحقق النص.

ثانياً: أن وظيفة النص التواصل، ويظهر هذا من تعريف (المتوكل) الذي يشترط تحقق وظيفة التواصل في النص، وهذا يعني أن مُنتج النص يجب أن يقصد به التواصل مع الآخرين. ثالثاً: أن النص يبدأ من جملتين فأكثر دون تحديد العدد الأقصى لجملة النص. فقد تضمن تعريف (المتوكل) أن النص أنه يكفي أن يتكون النص من جملتين فقط.

وألفاظ المقارنة، و(ال) التعريف. ٢- مرجع الإحالة، وهو كلمة، أو جملة، أو مقطع نصي تشير إليه أداة الإحالة. وإذا كان مرجع الإحالة جملة، أو مقطعاً نصياً فإنه يظهر في النص، أما إذا كان المرجع يشير إلى ذات، أو مكان، أو زمان، فإما أن يكون ظاهراً في النص، وإما أن يكون خارج النص؛ فيفهم من المقام (موسى، ٢٠١٥).

وقد أشار محمد خطابي (٢٠١٢) إلى دور الإحالة النصية في ترابط النص، وهي إما أن تكون إحالة قبلية تشير إلى مرجع سابق في النص، وإما أن تكون إحالة بعدية تشير إلى مرجع لاحق في النص. كما أشار إلى تأثير الإحالة الخارجية في ترابط أجزاء النص عندما ترد الإحالة ضمن نصوص مقتبسة، مثل حوار الشخصيات في النصوص السردية، حيث تؤدي وظيفة الإحالة النصية. وحدد خطابي أدوات الإحالة المستخدمة للإحالة الخارجية (المقامية)، وهي ضمائر الحضور (المتكلم والمخاطب)، وأسماء الإشارة، وظرف المكان.

مثال الإحالة الخارجية في النصوص المقتبسة: الحوارات التي وردت في قصة يوسف، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ﴾^(٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ [سورة يوسف: ٧-٨]. تظهر في هذا الحوار ضمائر المتكلم (أبيناً، نحن، أبانا)، فتحيل إلى مرجع ورد في النص، حيث تحيل إلى (إخوة يوسف)، الذين اقتبس النص القرآني مقولتهم. لذا؛ فضمائر الحضور هنا تربط أجزاء النص بعضها ببعض، فتسهم في الإحالة النصية.

واشترط خطابي (٢٠١٢) في الإحالة التطابق الدلالي بين عنصر الإحالة ومرجعه. ومع ذلك، فالقواعد التي تحكم تركيب الإحالة ليست مقيدة بالتطابق النحوي مثل التطابق في التعريف أو التنكير، أو التطابق العددي، بل يكفي التطابق الدلالي بين أدوات الإحالة ومرجعها في النص.

وقد قسم أنس فجّال (٢٠١٣) الإحالة القبلية إلى إحالة (قريبة المدى)، وذلك عندما تشير أداة الإحالة إلى مرجع في الجملة نفسها. وإحالة (بعيدة المدى) حين تشير الأداة إلى مرجع في جملة سابقة. كما قسم فجّال (٢٠١٣) الإحالة من

ومن معايير السبك في النص (الإحالة)، وهذا البحث يدرس ويحلل هذا المعيار النصي بشكل خاص، في إحدى سور القرآن الكريم، وهي سورة يوسف، من خلال أشهر أدوات الإحالة، وهي الضمائر. ويقتصر البحث على دراسة الضمائر الظاهرة وتحليلها فقط، وتعيين مراجعها في سورة يوسف.

والضمائر بأنواعها تمثل أداة واحدة من أدوات الإحالة، وهي الإحالة بالضمير، وتوجد أدوات أخرى للإحالة مثل: (أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، ألفاظ المقارنة^(٨))، (ال) العهدية^(٩)، وهذه الدراسة لا تتناول هذه الأدوات رغبة في الاختصار.

المبحث الثاني: الإحالة:

(أ) مفهوم الإحالة وأهميتها:

تتفق دراسات لسانيات النص وتحليل الخطاب على تحديد الإحالة في النص، بأنها علاقة تربط بين عناصر النص، وأن هذه العناصر إما أن تكون أدوات إشارية في النص، أو مراجع لهذه الأدوات، وهذه المراجع على نوعين: ظاهرة في النص، فتسمى إحالة داخلية، أو غير ظاهرة في النص، فتسمى إحالة خارجية. كما تتفق دراسات النص وتحليل الخطاب، على أن فهم أدوات الإحالة يتطلب معرفة مراجعها، وأن هذه الأدوات هي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، و(ال) التعريف، والألفاظ الدالة على المقارنة (بو ترعة، ٢٠١٢).

يتكون تركيب الإحالة من: ١- أداة الإحالة، وهي كلمة مبهمة، مثل الضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول،

(١) ألفاظ المقارنة هي الألفاظ المستعملة للمقارنة مثل: (أكبر، أصغر، أجل، مشابه، مماثل..)، وغيرها من الألفاظ. انظر: دراسة: (الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني). عبد الحميد بوترة. وانظر: كتاب: (في اللسانيات ونحو النص). إبراهيم خليل.

(٢) (ال) العهدية تستخدم مثل اسم الإشارة، فتحيل إلى لفظ سابق في النص، وذلك عند ورود الاسم في النص نكرة، ثم وروده معرفاً بـ(ال). مثل قول الشاعر: (وإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل). حيث أشارت (ال) في (الرجل) إلى لفظ (رجل) الذي ورد سابقاً في النص. انظر: دراسة: معايير النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. بوجلال الربيع.

سواء أكان كلمة، أم جملة، أم مقطعاً في النص؛ فإنه قد استدل على معاني في النص.

ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى في قصة يوسف مع امرأة العزيز: وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِۦ وَعَلَّقَتْ الْأَبْيَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة يوسف: ٢٣]. حيث وردت خمس أدوات إحالة كلها ضمائر، ما عدا أداة واحدة، هي الاسم الموصول، والأدوات هي: (سه، التي، هو، ها، ك)، فإذا تمكن القارئ من تحديد مرجع كل واحدة منها، فإنه سيتمكن من فهم النص. وهذه الأدوات تحيل إلى مرجعين فقط، هما: (يوسف، امرأة العزيز).

وقد وسَّع فِجَالُ (٢٠١٣) أدوات الإحالة فعدَّ منها (تكرار اللفظ)، والإحالة بـ (اللفظ الواصف). ومثَّل لتكرار اللفظ بقوله تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة يوسف: ٤]. فتكرار الفعل (رأيت)، فيه إحالة نصية إلى الجملة السابقة: (رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر). أما اللفظ الواصف فيقصد به (فِجَالُ) الإتيان بعبارة وصفية بدلاً عن عبارة سابقة، ففي قوله تعالى: الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَتَقْتُلُونَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ [سورة النساء: ٧٦]. أحالت العبارة الاسمية (أولياء الشيطان) إلى عبارة (الذين كفروا). ويرى الباحث أن هذه الآية مثال على الاستبدال النصي^(٣)، وليست مثلاً على الإحالة.

حيث الوجود الذهني إلى ١ - إحالة بناء: إذا كان المتلقي لا يعرف مرجع الإحالة. ٢ - إحالة تعيين: إذا كان مرجع الإحالة موجوداً في ذهن المخاطب، ويحتاج إلى تعيينه فقط. ويرى الباحث عدم الحاجة إلى هذه التفرعات التي تُعقِّد مفهوم الإحالة عند المتلقي.

إنَّ الإحالة تؤدي إلى سبك النص من خلال الربط بين أجزائه، مما يساعد القارئ على استرجاع ما سبق ذكره في الإحالة النصية القبليّة، والانتباه إلى ما سيرد ذكره في الإحالة النصية البعدية (أبو شارب، ٢٠١٣). يتضح ذلك في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: قَالُوا أَعِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٠﴾ [سورة يوسف: ٩٠]. حيث يحيل الضمير (نا) إلى (يوسف وأخيه)، المذكورين سابقاً في النص، ضمن مقولة مقتبسة. ويحيل الضمير (سه) إلى الجملة الشرطية بعده (من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)، وهذه إحالة إلى جزء لاحق في النص.

وقد أوضح الأزهر الزناد (١٩٩٣) الدور الذي تقوم به أدوات الإحالة في النص، فهي تقوم بدور مزدوج يتمثل في تعيين وتحديد مرجع الإحالة في النص من جهة، وتعويض المرجع بأداة الإحالة من جهة أخرى، ويتوقف فهم أدوات الإحالة على تذكر واستحضار المرجع الذي تشير إليه. ومن ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ [سورة يوسف: ٨]. حيث حددت الضمائر (سه، نا، نحن) الأسماء (يوسف، إخوة يوسف)، كما عوضت الضمائر هذه الأسماء.

وأشار خميس الجويني (٢٠٠٥) إلى أثر فهم تركيب الإحالة في فهم معاني النص، إذ إن القارئ إذا حدد أداة الإحالة سواء أكانت ضميراً، أم غيره، وعرف مرجع الإحالة

(٣) من معايير النص (الاستبدال)، ويعني: استبدال كلمة أو عبارة في النص، بكلمة أو عبارة أخرى. مثال: هل تحب قراءة القصص؟ نعم، أحب ذلك. حيث استبدلت كلمة (ذلك)، بعبارة (قراءة القصص). انظر: كتاب: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. نعمان

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [سورة يوسف: ١١١]. حيث أغنى استعمال الضمير (هم) عن ذكر أسماء كل الرسل، أو أسماء يوسف، وإخوته (الزخري، ٢٠١٢).

وقد ذكر محمد خطابي (٢٠١٢) اقتصار الإحالة إلى نص أو مقطع في النص، على اسم الإشارة المفرد (هذا، هذه)، لكنه عندما تناول أقوال المفسرين في مرجع ضمير الغائب (هـ) في قوله تعالى في الآية رقم (١٤٦) في سورة البقرة: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾ فبعض المفسرين أجاز عودة الضمير إلى (الحق) المذكور في الآية رقم (١٤٤) في قوله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ واستناداً إلى هذا الرأي أثبت خطابي أن مرجع الضمير قد يكون خطاباً كاملاً، لأن مرجع الضمير (الحق)، وهو يشمل كل ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فضمير الغائب وفقاً لهذا المرجع يعود إلى خطاب، وليس إلى عنصر في النص. ولا يمنع ذلك -من وجهة نظر الباحث- من اعتبار مرجع الضمير عنصراً في النص وليس خطاباً شاملاً، فكلية (الحق) وإن دلَّ معناها على كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها تعد عنصراً في النص، بالنظر إلى لفظها.

ويصف خطابي (٢٠١٢) إسهام الضمير في سبك النص في القرآن الكريم بقوله: "الضمير يسهم بشكل فعال في اتساق الخطاب القرآني.. والضمائر وخاصة ضمائر الغيبة تقوم بوظيفتين: استحضار عنصر متقدم في خطاب سابق، أو استحضار مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق" (ص ١٧٥). يشير خطابي هنا إلى استعمال الضمائر خصوصاً ضمائر الغائب للإحالة النصية القبلية، سواء أكانت الإحالة

إن الاقتصار على أدوات الإحالة المشهورة (ضمائر- أسماء إشارة- أسماء موصولة- ألفاظ مقارنة- ال) العهدية)، هو الأولى -من وجهة نظر الباحث- لسببين: أولاً: أن هذه الأدوات لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى مراجعها في النص. ثانياً: أن هذه الأدوات يمكن وصفها وعدّها ألفاظاً خاصة في اللغة يسهل تمييزها ودراستها، بوصفها أدوات شكلية تظهر على سطح النص.

ووسّع الزناد (١٩٩٣) مفهوم الإحالة، فهو يرى أن كل كلمات اللغة داخلية في تركيب الإحالة، إذ إن ألفاظ اللغة تحيل إلى ما هو خارج اللغة مثل إحالة الأسماء إلى مسمياتها، وإحالة الأفعال إلى معانيها وأزمنتها، وإحالة الحروف إلى معانيها، فألفاظ اللغة عند (الزناد) إما أن تكون ألفاظاً إشارية، وإما أن تكون مراجعاً لتلك الألفاظ.

(ب) الإحالة بالضمير:

عرف نعمان بوقرة (٢٠٠٨) الضمير بأنه: "اسم جامد يقوم مقام اسم ظاهر، للمتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، والغرض من الإتيان به، الاختصار، وهو أقوى أنواع المعارف" (ص ١٢٢).

وتستعمل الضمائر للاختصار فهي تختصر كثيراً من مفردات النصوص، والضمير قد يتكون من حرف واحد كالضمائر المتصلة (ي، ك، ل، ت، ث، ت، هـ)، وقد يتكون من حرفين مثل: (نا، كم، هم، تم.. وغيرها). حيث تختصر هذه الضمائر أسماء الأشخاص، أو الأشياء، وغيرها.

وقد أشار علماء العربية قديماً إلى أثر الضمير في اختصار الكلمات داخل الجمل، عند الإحالة باستعمال الضمير، حيث أكد الجرجاني وظيفة الضمير في منع تكرار الأسماء في الجملة (خليل، ٢٠٠٧). ورغم اهتمام علماء العربية بالجملة تحديداً، فإن إشارتهم إلى وظيفة الضمير في اختصار الكلمات في الجملة، تنطبق أيضاً على وظيفته في النص. من الأمثلة على استعمال الضمير للاختصار في القصص القرآني، قوله تعالى:

بوقرة. وانظر كتاب: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي.

كنت)، لم تُذكر في النص، وتُفهم من المقام الخارجي للنص. فالذي قصَّ القصص وأوحى القرآن، هو الله عز وجل، والذي أوحى إليه القرآن، هو محمد عليه الصلاة والسلام.

الدراسات السابقة:

عثر الباحث على عدد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الإحالة في القصص القرآني، واختار الباحث أقرب هذه الدراسات إلى موضوع هذه الدراسة، ومنهج الباحث في اختيار الدراسات السابقة هو أن تتناول الدراسة معيار الإحالة من جهة، وتطبق الدراسة على شواهد من القرآن الكريم من جهة أخرى. وقد رتب الباحث الدراسات السابقة وفقاً لترتيبها الزمني.

الدراسة الأولى: (الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام). ليندة زواوي.

تهدف الدراسة في جانبها النظري إلى دراسة مفهوم الإحالة، وأنواعها (نصية، مقامية)، وأدوات الإحالة (الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة). وفي جانبها الإجرائي قامت الباحثة بتطبيق الدراسة على آيات من القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام في سورتي الأعراف، وطه، وقصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف.

وأثبتت الباحثة أثر الإحالة بأدواتها المختلفة في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني، من خلال ربط الجمل والآيات شكلاً ودلالةً (زواوي، ٢٠١٦).

الدراسة الثانية: (الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني). لأنس فجال.

تهدف هذه الدراسة الموسعة إلى دراسة أدوات التماسك النصي الشكلية وتحليلها، ووسائل التماسك النصي الدلالية كلها، وتطبيق ذلك على شواهد من القرآن الكريم. وقد توسعت الدراسة في تناول معيار الإحالة بوصفه أداة من أدوات التماسك النصي الشكلي، حيث خصصت الدراسة الفصلين الثاني، والثالث، لمعيار الإحالة.

قسمت الدراسة الإحالة إلى نوعين رئيسين: (إحالة داخلية - إحالة خارجية). ثم قسمت الإحالة الداخلية إلى أقسام هي: ١- من حيث اتجاه المحال إليه: التقسيم المشهور:

إلى لفظ، أم كانت الإحالة إلى نص سابق، لكن ضمائر الغائب قد تحيل إلى عنصر لاحق، متأخر عنها في النص (إحالة بعدية).

مثال ذلك، إحالة ضمير الغائب (هـ) في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: **وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** [سورة يوسف: ٢٣]. حيث ورد في هذه الآية إحالتان بعدية، باستعمال ضمير الغائب. فمرجع الإحالة في قوله: (إنه ربي): كلمة (ربي)؛ ومرجع الإحالة في قوله: (إنه لا يفلح الظالمون): جملة: (لا يفلح الظالمون). وكلاهما مرجع متأخر عن الضمير، وسيرد ذكر هذا النوع من الإحالة عند الحديث عن الإحالة النصية البعدية في هذه الدراسة.

وشدد محمد يونس (٢٠١٣) على أهمية ضمائر الإحالة في سبك النص، بقوله: "إن إعادة الضمير إلى مرجعه من أهم المهام التي يقوم بها محلل النص؛ لأنها تزيل عنه اللبس وتوضح دلالاته.. وإزالة اللبس عن النص يقوي تماسكه". (ص ٦٨).

تستعمل الضمائر للإحالة النصية، أو المقامية، وفي هذه الدراسة أحصى الباحث أربعمئة وثمانية وثمانين (٤٨٨) تركيب إحالة بنوعها باستعمال الضمائر الظاهرة. فمن الإحالة النصية، استعمال الضمير (هم) الذي ورد مرتين في قوله تعالى: **وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ** [سورة يوسف: ٥٨]. مرجع الضمير (هم):

(إخوة يوسف)، وهذا المرجع مذكور في النص. ومن الإحالة المقامية، استعمال ضمائر المتكلم (نحن، نا)، وضمائر المخاطب (ك، ت)، في قوله تعالى: **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ** [سورة يوسف: ٣]. حيث إن مراجع ضمائر المتكلم (نحن، أوحينا)، وضمائر المخاطب (عليك، إليك،

وأثبت الباحث أن للإحالة بأدواتها المختلفة من ضمائر، وأسماء إشارة، وغيرها، دوراً كبيراً في خلق سمة النصية، وربط أجزاء النص بعضها ببعض. تستوي في ذلك الإحالة إلى مرجع سابق، والإحالة إلا مرجع لاحق في النص. (بوترعة، ٢٠١٢).

الدراسة الرابعة: (الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية). لنائل إسماعيل.

تهدف الدراسة إلى دراسة الإحالة بوصفها معياراً من أهم معايير السبك النصي، وأثبتت الدراسة أن الضمائر من أهم أدوات الإحالة، وأن لها دوراً بارزاً في ربط أجزاء النص دلاليًا ولفظيًا.

وفي الجانب الإجرائي للدراسة طبق الباحث أمثلة الإحالة بالضمائر على شواهد من القرآن الكريم، في مواضع مختلفة في سور القرآن، وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج، أهمها:

(١) للضمائر دور بارز في الربط بين الجمل والآيات في القرآن الكريم، كما أن لها دوراً كبيراً في إزالة اللبس والإبهام في النص، من خلال معرفة مرجع الضمير.

(٢) لضمير الفصل - وهو الضمير الذي يفصل بين النعت والخبر - دور مهم في تحقيق صلة معنوية بين أجزاء الكلام.

(٣) الالتفات في القرآن الكريم باستعمال الضمائر، وسيلة مؤثرة في تحقيق الترابط النصي على المستويين التركيبي، والدلالي (إسماعيل، ٢٠١١).

إفادة الباحث من الدراسات السابقة:

أفاد الباحث من الدراسات السابقة في الدراسة النظرية، من خلال عرض ودراسة معيار الإحالة بوصفه معياراً نصياً، وتبين أثره في سبك النص القصصي القرآني. كذلك أفاد الباحث من الدراسات السابقة في الجانب النظري، من خلال دراسة وعرض نوعي الإحالة: (نصية، ومقامية)، وعرض ودراسة نوعي الإحالة النصية (قبليّة، بعديّة).

كما أفاد الباحث من الدراسات السابقة نظرياً، عند تناول الضمائر بوصفها أشهر أدوات الإحالة في النصوص. حيث أفاد الباحث من دراسة فجال (٢٠١٣)، ودراسة إسماعيل

(إحالة قبليّة - إحالة بعديّة). ٢- من حيث نوع مرجع الإحالة: (إحالة معجمية - إحالة مقطعية). ٣- من حيث مدى الإحالة: (إحالة قريبة - إحالة بعيدة). ٤- من حيث الوجود الذهني لمرجع الإحالة: (إحالة بناء - إحالة تعيين).

وتناولت الدراسة أدوات الإحالة، حيث خصص الباحث لكل أداة مبحثاً، والمباحث هي ١- الإحالة بالضمير. ٢- الإحالة باسم الإشارة. ٣- الإحالة بالاسم الموصول. ٤- الإحالة بالتكرار. ٥- الإحالة بالـ (ال) التعريف. ٦- الإحالة باللفظ الواصف.

وأهم نتائج الدراسة المتعلقة بالإحالة:

١- تستعمل الإحالة بقصد الاقتصاد في ألفاظ النص، وربط أجزائه، بعضها ببعض. وهذا يحقق الاستمرار والتماسك في النص.

٢- للإحالة دور مهم في تحقيق التماسك الخارجي للنص؛ لأنها تربط النص بمقامه الخارجي.

٣- الإحالة القبليّة أشهر أنواع الإحالة الداخليّة، ولها دور مهم في تماسك النص واستمراره.

٤- تستعمل الإحالة الداخليّة البعديّة في توضيح معانٍ غامضة في النص، فتعمل على تكثيف اهتمام القارئ، وحثه على مواصلة القراءة.

٥- الإحالة بالضمير هي أكثر الإحالات شيوعاً (فجال، ٢٠١٣).

الدراسة الثالثة: (الإحالة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية). لعبد الحميد بوترعة.

تهدف الدراسة إلى تبين دور الإحالة النصية في تلاحم أجزاء النص القرآني من خلال شواهد مختارة من القرآن الكريم. وتطرح الدراسة الأسئلة الآتية:

(١) ما مفهوم الإحالة النصية لغة واصطلاحاً؟

(٢) كيف يتجلى حضور الإحالة في القرآن الكريم؟

(٣) ما أثر الإحالة النصية في تحقيق تماسك النص القرآني؟

وتناول الباحث في دراسته عدداً من أدوات الإحالة، وهي: ١- الضمائر. ٢- أسماء الإشارة. ٣- ألفاظ المقارنة. ٤- الأسماء الموصولة. مع الشرح والتمثيل لكل أداة من هذه الأدوات بشواهد من القرآن الكريم.

ومن جهة أخرى اقتضت هذه الدراسة على آيات سورة يوسف، مع التوسع في إحصاء المواضع التي وردت فيها الضمائر، ومراجع الإحالة في آيات السورة.

الدراسة الإجرائية:

المبحث الأول: الإحالة النصية في سورة يوسف:

ظهرت الإحالة النصية بالضمير في مواضع كثيرة في سورة يوسف، وهي سورة تتناول في معظم آياتها قصة يوسف عليه السلام. وقد تنوعت ضمائر الإحالة في القصة وأحالت إلى شخصيات مذكورة صراحةً أو موصوفة، وأسهمت هذه الضمائر في تعلق أحداث القصة بعضها ببعض. وقبل البدء بتحليل مواضع الإحالة بالضمير في سورة يوسف يمكن للباحث حصر الذوات، والشخصيات، والأشياء المحال إليها باستعمال الضمير في آيات السورة حسب ترتيبها، وهي كالآتي:

أولاً: مرجع الضمير لفظ الجلالة (الله).

ثانياً: مرجع الضمير يدل على عاقل:

١. يوسف عليه السلام.
٢. يعقوب عليه السلام.
٣. إخوة يوسف.
٤. أخو يوسف (بنيامين).
٥. إبراهيم عليه السلام.
٦. إسحاق عليه السلام.
٧. أسرة يوسف عليه السلام.
٨. السيارة (قافلة من المسافرين).
٩. أحد أفراد السيارة (وارد الماء).
١٠. الذي اشترى يوسف (عزيز مصر).
١١. امرأة عزيز مصر.
١٢. نسوة في المدينة.
١٣. العزيز وأهله.
١٤. فتيان (صاحباً يوسف في السجن).
١٥. أهل مصر.
١٦. ملك مصر.
١٧. المملأ (حاشية الملك).
١٨. رجال الملك.

(٢٠١١) في إبراز دور الضمائر في فهم النص القرآني وإزالة اللبس والإبهام من جهة، وإبراز أهمية الضمائر وشيوعها مقارنة بأدوات الإحالة الأخرى من جهة أخرى.

وتضيف هذه الدراسة إلى الدراسات السابقة منهجاً جديداً في تناول مواضع الإحالة بالضمير في القصص القرآني. حيث إن هذه الدراسة تقدم طريقة مختلفة، تقوم على تحديد مرجع الضمير في النص في الإحالة النصية، والإشارة إلى كون الضمير يجيل إلى خارج النص، في الإحالة الخارجية. مع توضيح أثر الإحالة النصية في سبك النص القصصي القرآني، وأثر الإحالة الخارجية في ربط النص القرآني بمقامه الخارجي.

ويختلف منهج هذه الدراسة عن دراسة (زواوي)، ودراسة (إسماعيل) في تناول ضمائر الإحالة، حيث إن هذه الدراسة تهتم بالضمائر الدراسية، البارزة فقط، في حين أن الدراستين تناولتا في بعض الشواهد، الضمائر المستترة أيضاً. وتختلف هذه الدراسة عن الدراستين في تناول موضوع الالتفات في الضمائر، حيث أشارت الدراستان إلى هذه الظاهر البلاغية النصية، أما هذه الدراسة، فلم تنطرق إلى ظاهرة الالتفات في الضمير.

وتختلف هذه الدراسة عن دراسة (بوترعة) التي اقتضت على أمثلة قليلة ومحدودة من الشواهد القرآنية، من عدة سور في القرآن الكريم، مع الإشارة المختصرة إلى أدوات الإحالة المختلفة. أما هذه الدراسة، فقد اقتضت على أداة واحدة من أدوات الإحالة وهي (الضمير)، لكنها توسعت في الأمثلة التي استنبطها الباحث من سورة يوسف فقط.

وتختلف هذه الدراسة عن دراسة (فجّال) التي توسعت في أدوات السبك النصي، ووسائل التماسك الدلالي في النصوص. كما أنها تناولت أدوات الإحالة كلها، مع البسط والتمثيل والتطبيق على شواهد من سور مختلفة في القرآن الكريم^(٤). أما هذه الدراسة فقد اقتضت على معيار الإحالة فقط، بوصفه أحد معايير سبك النص، كما أن هذه الدراسة مقتصرة على الضمائر فقط، بوصفها أشهر أدوات الإحالة.

(٤) تُعدُّ هذه الدراسة دراسة شاملة في مجالها، وهي في الأصل رسالة دكتوراه، منح فيها الباحث الدرجة في قسم اللغة العربية والترجمة في كلية اللغات بجامعة صنعاء.

المثنى (هما) ثلاث (٣) مرات، وورد ضمير المفرد المنصوب (إياه) مرة واحدة فقط.

كما وردت إحالات نصية قبلية في سورة يوسف باستعمال ضمائر المتكلم أو المخاطب، وهذه الإحالة -وفقاً لأبحاث لسانيات النص- لا تقع إلا في النصوص القصصية عند الاستشهاد بأقوال الشخصيات في النص (خطابي، ٢٠١٢). وحيث إن سورة يوسف في معظمها تحكي قصة يوسف عليه السلام، فقد وردت ضمائر المتكلم والمخاطب، وأحالت إحالة نصية، فأسهمت في سبك النص وتعلق أحداثه بعضها ببعض.

ومعظم أمثلة الإحالة النصية في سورة يوسف هي للإحالة القبليّة، وهذه الأمثلة تؤكد أن الإحالة القبليّة هي الأكثر استعمالاً في النصوص العربيّة. وسيفصل الباحث الحديث عن مواضع الإحالة النصية القبليّة في هذا البحث.

أولاً: الإحالة النصية القبليّة بضمائر الغائب:

قد يرد ضمير الغائب في الإحالة النصية القبليّة في موضع بعيد عن مرجعه في القصص القرآني، مثال ذلك في سورة يوسف، الإحالة إلى (إخوة يوسف) الذين ذكروا صراحةً في بعض الآيات ثم استعمل ضميراً الغائب (هم، الواو) كثيراً للإحالة إليهم، ابتداءً بالآية رقم (١٠)، وانتهاءً بالآية رقم (١٠٢) في قوله تعالى: قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠٢﴾ [سورة يوسف: ١٠]. وقوله تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ [سورة يوسف: ١٠٢]. حيث يحيل الضميران (هم، الواو) إحالة نصية إلى (إخوة يوسف) المذكورين في الآية رقم (٧) في قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ [سورة يوسف: ٧]. وقد أسهم استعمال ضمائر الغائب هنا في تعلق أحداث النص وارتباط أجزائه بعضها ببعض.

١٩. فتیان یوسف (عزیز مصر).

٢٠. أهل القرية (أهل مصر).

٢١. الذين آمنوا.

٢٢. جلساء يعقوب عليه السلام.

٢٣. أكثر الناس.

٢٤. أهل مكة.

٢٥. الذين اتقوا.

٢٦. الرسل.

٢٧. القوم المؤمنون.

ثالثاً: مرجع الضمير غير عاقل:

١. الكواكب، والشمس، والقمر.

٢. أوثان يعبدها أهل مصر.

٣. سبع بقرات.

٤. سنوات شداد.

٥. عام الغيث.

٦. الأرض.

٧. قميص يوسف.

٨. رؤيا يوسف.

٩. أنبياء الغيب.

١٠. آية في السماوات والأرض.

(أ) الإحالة النصية القبليّة:

معظم ضمائر الإحالة النصية القبليّة في سورة يوسف هي ضمائر الغائب، فقد بلغ مجموعها مئتين وسبعة وثلاثين (٢٣٧) ضميراً، وسوف يكتفي الباحث ببعض الأمثلة لضمائر الغائب التي تكررت في السورة، رغبةً في الاختصار. فقد ورد ضمير الغائب المتصل المذكور (هـ) مائة وثلاثاً وثلاثين (١٣٣) مرة، وورد ضمير (واو الجماعة) اثنتين وسبعين (٧٢) مرة، وورد ضمير الغائبين (هم) متصلاً ومنفصلاً ثلاثاً وخمسين (٥٣) مرة. وتكررت ضمائر الغائب الأخرى في الإحالة النصية القبليّة بأعداد متفاوتة مثل ضمير الغائبة المتصل (ها) حيث ورد عشرين (٢٠) مرة، وضمير الغائبات (هنّ) ورد أربع عشرة (١٤) مرة، وضمير الغائب المفرد المنفصل (هو) ورد اثنتي عشرة (١٢) مرة، وورد ضمير

نَحِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ ابْنِى أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لىَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ [سورة يوسف: ٨٠]. حيث يحيل الضمير (هو) إحالة نصية، ومرجع الإحالة لفظ الجلالة (الله)، والفاصل بين الضمير ومرجعه الجار والمجرور. ومثل ذلك، قوله تعالى: قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يُعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ [سورة يوسف: ٩٢]. حيث فصلت شبه الجملة (لكم) بين الضمير (هو)، ومرجعه لفظ الجلالة (الله). وهذه الإحالة إلى مرجع قريب في النص تشير إلى التنوع في مراجع الإحالة في النص، من حيث مدى القرب، أو البعد عن أداة الإحالة.

وأحياناً يكون ضمير الإحالة مستثنى في الجملة، مثل قوله تعالى: مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِن لَّكِنَّا كَثْرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [سورة يوسف: ٤٠]. حيث يحيل الضمير المستثنى (إياه)، إلى لفظ الجلالة الوارد في الجملة. ولم يرد الضمير المنفصل (إياه) في السورة إلا في هذا الموضع.

وقد يفهم مرجع ضمير الغائب من سياق الآيات، مثال ذلك الضمير (هم) في قوله تعالى: ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنَهُ حَتَّى جِيءَ ﴿٣٥﴾ [سورة يوسف: ٣٥]. فمرجع الضمير: (عزيز مصر وأهله)، (محمود الزمخشري، ٢٠١٢)، وهما غير مذكورين في النص. وفي قوله تعالى: قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنى عَن نَّفْسى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ [سورة يوسف: ٢٦]. يحيل الضمير: (هي) إلى (زوج عزيز مصر)، وهذا المرجع يفهم من سياق الآيات (يونس، ٢٠١٣).

واستعمل ضمير الغائب (هو) للإحالة النصية البعيدة في قوله تعالى: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ [سورة يوسف: ١٠٤]. حيث أحال الضمير (هو) إحالة نصية بعيدة إلى (القرآن الكريم)، والمقصود ما يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قومه وذكركم به من الوحي (الزمخشري، ٢٠١٢). وقد ورد ذِكْرُ (القرآن) في الآية رقم (٣) في السورة في قوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ [سورة يوسف: ٣]. وأسهمت الإحالة النصية إلى مرجع بعيد في النص، في تعلق وربط أجزاء النص بعضها ببعض.

وأبعد إحالة نصية في سورة يوسف، هي الإحالة باستعمال ضمير الغائب (هـ)، إلى القرآن المذكور في الآية السابقة رقم (٣)، قال تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شىءٍ وَهَدى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ [سورة يوسف: ١١١]. حيث يحيل الضمير (هـ) في كلمة (يديه) إلى القرآن الكريم. ويفصل بين الضمير ومرجعه نص قرآني طويل بلغ عدد آياته مائة وثناني (١٠٨) آيات. وقد أسهمت الإحالة النصية إلى مرجع بعيد في النص، في تعلق أجزاء النص وترابطها.

وأحياناً يرد ضمير الغائب في الإحالة النصية القبلية في القصص القرآني تالياً لمرجعه، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِبِينَ ﴿٧﴾ [سورة يوسف: ٧]. حيث فصل بين الضمير (هـ) ومرجعه: (يوسف)، حرف العطف (الواو)، والمعطوف (إخوة) فقط. وقد يفصل بين الضمير ومرجعه الجار والمجرور فقط، كما في قوله تعالى حكاية عن كبير إخوة يوسف: فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا

(٢٠١٢) أن إسناد ضمير العاقل (نون النسوة) إلى (سبع سنوات) من الإسناد المجازي، إذ إن الناس يأكلون في هذه السنوات السبع ما زرعه، فأسند (الأكل) إليها.

وقد يستعمل ضمير الغائب في القصص القرآني مكرراً لزيد من البيان، من ذلك الضمير (هم) حيث ورد مكرراً في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهٗ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِنَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيَ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ [سورة يوسف: ٣٧]. ومرجع الضمير: (قوم)، وهم أهل مصر (الزنجشري، ٢٠١٢). وكرر الضمير (هم)، لتبيين شناعة فعلهم، إذ إنهم يكفرون بالله، ويكفرون باليوم الآخر.

وقد يرد ضمير الغائب في جملة واحدة، فيأتي مرة متصلاً، ومرة منفصلاً، ومرجع الضمير واحد. مثال ذلك قوله تعالى، في الآية رقم (٢٣): وَرَوَدْتُهُ أَتَيْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُيُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة يوسف: ٢٣]. حيث ورد ضمير الغائب (هـ، هو)، ومرجعها (يوسف)، الوارد ذكره في الآية رقم (٢١) في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِئَلَّمَهُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [سورة يوسف: ٢١]. ويلاحظ هنا ورود الضمير بعد الاسم الموصول للمؤنث (التي)، ومعرفة مرجع الإحالة في هذا الموضع من النص القرآني يساعد في فهم النص، حيث وقع عدم تطابق في الجنس بين الضمير والاسم الموصول، إذ يحيل كل واحد منهما إلى مرجع مختلف في النص.

ومن المواضع التي حُذف فيها مرجع الضمير، وفُهم من سياق الآيات قوله تعالى حكاية عن يعقوب: وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ [سورة يوسف: ٨٤]. فالضمير في كلمة (عيناه)، لم يذكر مرجعه، ويمكن تقدير مرجع الإحالة من الآية السابقة لهذه الآية وهي قوله تعالى: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [سورة يوسف: ٨٣]. التقدير: (قال يعقوب).

وقد يرد في القصص القرآني ضمير الغائب العاقل فيحيل إحالة نصية إلى غير العاقل، مثل الضمير (هم) الذي ورد في قصة يوسف وأحال إلى (الشمس والقمر والكواكب)، قال تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة يوسف: ٤]. وعلل محمود الزنجشري (٢٠١٢) استعمال ضمير العاقل في هذا الموضع بأنه ورد في السياق فعل يقع من العاقل وهو (السجود)، فأعطيت (الكواكب، والشمس، والقمر) حكم العاقل في استعمال الضمير.

ومن الإحالة إلى غير العاقل باستعمال ضمير العاقل في القصص القرآني، استعمال ضميري جمع المؤنث (هنّ، نون النسوة) في ثلاث آيات في سورة يوسف، في قوله تعالى: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ [سورة يوسف: ٤٦]. وقوله تعالى: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ [سورة يوسف: ٤٨]. ومرجع الإحالة في هذه الآيات (سبع بقرات/ سبع سنوات)، وهذا المرجع غير عاقل. واختار الزنجشري

أسهمت هذه الإحالة بضمير الغائب (هـ) إلى مقطع سابق في النص، في ترابط أجزاء النص، وتعلق أحداثه بعضها ببعض. فضمير الغائب هنا مثل اسم الإشارة (هذا، ذلك)، في استعماله للإحالة إلى مقطع نصي.

ومن أمثلة استعمال ضمير الغائب في الإحالة إلى مقطع نصي في قصة يوسف، قوله تعالى: وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آخِراً وَإِنِّي أَرْنِي آخِماً فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ [سورة يوسف: ٣٦]. إذ يحيل ضمير الغائب (هـ) في كلمة (تأويله) إلى مقطع نصي وهو (ما ذكره الفتيان من الرؤيا)، فالضمير هنا مثل اسم الإشارة (ذلك)، والتقدير: (تأويل ذلك)، (الزخشي، ٢٠١٢).

وتكرر استعمال ضمير الغائب (هـ) في الإحالة إلى مقطع نصي، وذلك عند الحديث عن رؤيا الملك في قوله تعالى في الآية رقم (٤٥): وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ [سورة يوسف: ٤٥]. إذ يحيل ضمير الغائب في كلمة (تأويله) إلى ما ورد في الآية رقم (٤٣) في قوله تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتَبَلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ [سورة يوسف: ٤٣]. وقد أسهم ضمير الغائب المفرد (هـ) في اختصار كلمات كثيرة في النص، حيث أغنى عن إعادة مقولة الملك: (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات).

واستعمل ضمير النسوة الغائب (نون)، في الإحالة في قصة يوسف، مثال ذلك، قوله تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَلَشَ لَلَّهِ مَا

ومن أمثلة الإتيان بالضمير مرة متصلاً، ومرة منفصلاً، والمرجع واحد، الإحالة في عدة مواضع في سورة يوسف إلى رب العالمين باستعمال ضميري الغائب (هـ، هو)، مثال ذلك، قوله تعالى: فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾ [سورة يوسف: ٣١]. ومرجع الإحالة كلمة (رب) الواردة في الآية. وقوله تعالى على لسان يعقوب: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [سورة يوسف: ٨٣]. ومرجع الإحالة لفظ الجلالة (الله). وقوله تعالى: قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ [سورة يوسف: ٩٨]. ومرجع الإحالة كلمة (ربي). وقوله تعالى على لسان يوسف: وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجُوداً وَقَالَ إِنِّي نَبَأْتُ هَذَا تَأْوِيلَ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]. ومرجع الإحالة كلمة (ربي). وقد دلت الإحالة المكررة إلى مرجع واحد في هذه المواضع على أهمية مرجع الإحالة وهو (الله) عزوجل.

ومن أنواع الإحالة النصية القبلية باستعمال ضمير الغائب في القصص القرآني، الإحالة إلى جملة في النص، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن (عزيز مصر): فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [سورة يوسف: ٢٨]. حيث يحيل الضمير في كلمة (إنه) إحالة نصية قبلية إلى مقطع نصي سابق، في قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْأُخْرَى سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ [سورة يوسف: ٢٥]. وقد

وتكرر استعمال ضمير المخاطبين (كُمَا)، الذي يحيل إلى صاحبي يوسف في السجن، في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: **يَصْلِحِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ** قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ [سورة يوسف: ٤١]. حيث أحال الضمير في كلمة (أحدكما) إحالة نصية قبلية، ومرجع الإحالة المنادى المضاف في الآية: (يا صاحبي السجن).

وورد في قصة يوسف استعمال ضمير المخاطبين (تُم)، وأحال إحالة نصية في قوله تعالى على لسان ملك مصر: **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتَبِلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ** ﴿٤٣﴾ [سورة يوسف: ٤٣]. حيث أحال الضمير (تُم) إحالة نصية قبلية إلى (الملأ) المذكورين في الآية. و(الملأ) هم جلساء الملك، القريبين منه.

ووردت الإحالة النصية قبلية باستعمال ضمير المخاطبين (كُم) في قوله تعالى: **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسُرِقُونَ** ﴿٧٠﴾ [سورة يوسف: ٧٠]. حيث أحال الضمير (كُم) إلى مضاف محذوف تقديره (أصحاب)، واستعمل حرف النداء للمؤنث (أيتها)؛ لأن الاسم بعده غير عاقل (العير)، فعمل معاملة المؤنث في النداء. والمقصود بالخطاب (أصحاب العير) وهم (إخوة يوسف). وتعدُّ هذه الإحالة إحالة نصية- من وجهة نظر الباحث- لأن مرجع الإحالة (مركب إضافي)، وقد ورد في النص المضاف إليه: (العير)، والمضاف مع المضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة.

واستعمل ضمير المخاطب المتصل (ك)، مرتين للإحالة النصية قبلية، في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ** ﴿١١﴾

عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٠﴾ [سورة يوسف: ٥٠-٥١]. حيث اتصلت نون النسوة بالفعلين الماضيين (قطعن، قلن)، ومرجع الضمير، الاسم الوارد في الآية رقم (٥٠): (النسوة)، وهذه إحالة نصية قبلية أسهمت في تعلق كلمات النص بعضها ببعض.

ثانياً: الإحالة النصية قبلية بضمائر المخاطب:

تستعمل ضمائر المتكلم والمخاطب (ضمائر الحضور) للإحالة المقامية، أي أنها تحيل إلى مراجع خارج النص. لكن في القصص القرآني كما في النصوص السردية، يكثر اقتباس مقولات وحوارات لشخصيات القصة، وقد تحيل ضمائر الحضور في هذه الحوارات إلى مراجع مذكورة في النص، ومن هنا يمكن عدّها إحالة نصية. وفي قصة يوسف وردت ضمائر المخاطب، والمتكلم في مواضع كثيرة، وأحالت إحالة نصية قبلية، وبعديّة. وأمثلتها كالآتي:

وردت ضمائر المخاطبين المنفصلة والمتصلة (أنتم، كُم، تُم، واو الجماعة)، وأحالت إحالة نصية قبلية، وذلك عند خطاب يوسف عليه السلام لصاحبي السجن في قوله تعالى على لسان يوسف: **يَصْلِحِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴿٣٩﴾ **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٤٠﴾ [سورة يوسف: ٣٩-٤٠]. حيث تحيل الضمائر (تعبدون، سميتم، أبواؤكم) إحالة نصية قبلية، ومرجع الضمائر المنادى المضاف (يا صاحبي السجن). ويدخل في الخطاب من هم على دينهما من أهل مصر (الزمنخشي، ٢٠١٢). واستعمل ضمير المخاطب مكرراً هنا نظراً للقرب المكاني بين المخاطبين ويوسف عليه السلام، إذ هما صاحباه في السجن.

١. قوله تعالى: وَرَوَدَتْهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُبُوبَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة يوسف: ٢٣].
ومرجع الإحالة (يوسف) المذكور قبل هذه الآية، في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [سورة يوسف: ٢١].

٢. قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَىٰ عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ [سورة يوسف: ٣٠]. مرجع الإحالة الاسم (فتى)، وقد فصل بين الضمير المنعكس (نفسه) ومرجعه حرف الجر (عن).

٣. قوله تعالى: قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُجْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٢﴾ [سورة يوسف: ٣٢]. مرجع الإحالة سبق ذكره، وهو الاسم (فتى)، الوارد في قول النسوة في الآية السابقة رقم (٣٠).

٤. قوله تعالى: قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنَا صِدْقًا مِمَّا تَكْتُمُونَ ﴿٥١﴾ [سورة يوسف: ٥١].
مرجع إحالة الضمير المنعكس المكرر: (يوسف).

٥. قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ [سورة يوسف: ٧٧].
مرجع الإحالة للضمير المنعكس: (يوسف). وقد فصل بين الضمير المنعكس ومرجعه حرف الجر (في).

[سورة يوسف: ١١]. وقوله تعالى: أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَعْنَا إِنْ أَنْتَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ [سورة يوسف: ٨١]. حيث إن مرجع ضمير المخاطب (ك) في الآيتين: الاسم (أبانا).
فالإحالة في الآيتين إحالة نصية قبلية.

ثالثاً: الإحالة قبلية بضمير المتكلم:

استعمل ضمير المتكلمين (نا) للإحالة النصية قبلية في المقولات المقتبسة في قصة يوسف، مثل قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ [سورة يوسف: ٣٨]. حيث أحال ضمير المتكلمين (نا) إحالة نصية قبلية إلى الأسماء المذكورة في النص: (إبراهيم، وإسحاق ويعقوب) عليهم السلام، ويجوز اعتبار مرجع الإحالة كلمة (لى). واستعمال ضمير المتكلمين للإحالة إلى يوسف مع أبيه، وجديه، يشير إلى العاطفة القوية التي تربط النبي يوسف عليه السلام بأبائه الأنبياء عليهم السلام، فهو في أشد الحاجة إلى تذكيرهم والافتداء بهم، مما يخفف عنه كربة السجن، والكيء الذي واجهه من امرأة العزيز وصاحباتها.

رابعاً: الإحالة قبلية بالضمير المنعكس (نفسه):

الضمير المنعكس أو الضميمة المنعكسة هي ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب المسبوق بكلمة (نفس)، ويقع هذا الضمير موقع المفعول به، أو المجرور بحرف الجر أو المجرور بالإضافة (نحلة، ٢٠١١).

وقد ردت الإحالة النصية قبلية باستعمال الضمير المنعكس الغائب (نفسه) في عدة مواضع في قصة يوسف. والأمثلة على ذلك كالآتي:

(ب) الإحالة النصية البعدية:

أولاً: الإحالة النصية البعدية بضمائر الغائب:

استعملت ضمائر الغائب للإحالة النصية البعدية في سورة يوسف في عدة مواضع، وهي إحالة بعدية إلى كلمة، أو تركيب وصفي أو إضافي، أو جملة في النص. من ذلك، الإحالة إلى (موصوف، وصفة)، مثل قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ [سورة يوسف: ٢]. حيث يحيل الضمير في كلمة (أنزلناه) إحالة بعدية إلى التركيب الوصفي بعده (قُرْآنًا).

ومن الإحالة البعدية بضمير الغائب في سورة يوسف، الإحالة إلى (مضاف ومضاف إليه)، ومثال ذلك سبق ذكره، وهو قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: وَرَوَدْتُهُ النَّبِيُّ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [سورة يوسف: ٢٣]. حيث يحيل الضمير (هـ) في كلمة (إنه) إحالة بعدية إلى التركيب الإضافي (ربي)، والمقصود به عزيز مصر، الذي هو سيد يوسف ومالكة (الزنجشري، ٢٠١٢). وفي الآية إحالة بعدية إلى جملة فعلية، حيث يحيل ضمير الشأن (إنه) إلى الجملة الفعلية: (لا يفلح الظالمون).

ومن الإحالة النصية البعدية إلى جملة فعلية في سورة يوسف، قوله تعالى: يَبْتَغِيْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ ﴿١٠٣﴾ [سورة يوسف: ٨٧]. حيث أحال ضمير الشأن (إنه) إلى الجملة الفعلية: (لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون).

ومن الإحالة البعدية بضمير الغائب في السورة، الإحالة إلى جملتين اسميتين، مثال ذلك، إحالة الضمير (ها) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا

يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿١٠٤﴾ [سورة يوسف: ٧٧]. فمرجع الضمير المكرر (ها) (فأسرها، بيدها): الجملتان: (أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون). وفي قوله تعالى: وَرَفَعَ أَبْوَابِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٥﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]. يحيل ضمير الشأن (إنه) إحالة بعدية إلى الجملة اللاحقة للضمير: (هو الغفور الرحيم)، (هو العليم الحكيم).

وقد أسهمت الإحالة البعدية إلى جملة لاحقة، في تعلق أجزاء النص بعضها ببعض، كما أسهمت في تشويق القارئ وجذب انتباهه لقراءة ما يلحق أداة الإحالة، سواء أكانت الإحالة إلى جملة فعلية، أم كانت الإحالة إلى جملة اسمية لاحقة في النص.

ثانياً: الإحالة النصية البعدية بضمائر المخاطب:

استعمل ضمير المخاطب (أنت) للإحالة النصية البعدية في الكلام المستشهد به في سورة يوسف، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: قَالُوا أَعَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ [سورة يوسف: ٩٠]. حيث أحال الضمير (أنت) إلى الاسم الوارد بعده مباشرة (يوسف). ومن الإحالة النصية البعدية باستعمال ضمير المخاطب في السورة، قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٧﴾ [سورة يوسف: ١٠١]. حيث أحال الضمير (أنت) إلى عبارة (وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) المذكورة

- ١٢ . الملأ (حاشية الملك).
- ١٣ . الناس في مصر.
- ١٤ . رسول الملك.
- ١٥ . النسوة صاحبات امرأة العزيز.
- ١٦ . (بنيامين) أخو يوسف.
- ١٧ . مؤذن الملك.
- ١٨ . الأخ الأكبر ليوسف.
- ١٩ . الملأ في مجلس يعقوب عليه السلام.

(أ) الإحالة المقامية بضمائر الغائب:

وردت إحالات مقامية في قصة يوسف باستعمال ضمائر الغائب، وهذا يعني أن ضمائر الغائب في القصص القرآني، تسهم أحياناً في إنتاج النص (إحالة خارجية)، وليس دور هذه الضمائر مقصوداً على الإحالة الداخلية التي تسهم في سبك النص (إحالة نصية)، وهذا يخالف ما أشارت إليه بعض دراسات لسانيات النص^(٥).

فمن استعمال ضمير الغائب للإحالة المقامية قوله تعالى في مشهد اتهام (بنيامين) بالسرقة: قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ هِمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ [سورة يوسف: ٧١-٧٥]. حيث ورد في هذه الآيات عددٌ من ضمائر الغائب، وهي: (الواو، هم، هـ) في الكلمات: (قالوا) [مكررة خمس مرات]، (أقبلوا، عليهم، تفقدون، جزاؤه) [مكررة ثلاث مرات]، (رحله)، ولا يوجد لهذه الضمائر مراجع في سياق الآيات. ويستطيع القارئ استنباط مراجع الإحالة من مقام النص، والمراجع كالآتي:

بعد الضمير مباشرة. وقد أسهمت الإحالة باستعمال الضمير (أنت) إلى عبارة لاحقة في النص، في استمرار النص، وتشويق القارئ لإكمال القراءة.

ثالثاً: الإحالة البعدية بضمائر المتكلم:

ورد مثال واحد في سورة يوسف لاستعمال ضمير المتكلم في الإحالة النصية البعدية، وذلك في قوله تعالى: وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ [سورة يوسف: ٦٩]. حيث يحيل ضميراً المتكلم المتصل (الياء، أنا) في جملة (إني أنا أخوك)، إحالة نصية بعدية إلى التركيب الإضافي بعدهما: (أخوك)، والمقصود (يوسف عليه السلام). وتسهم الإحالة البعدية هنا في استمرار النص، وتشويق القارئ لتلقي معاني النص.

المبحث الثاني: الإحالة المقامية في سورة يوسف:

ظهرت الإحالة المقامية بالضمير في سورة يوسف في مواضع كثيرة. والإحالة المقامية تسهم في إنتاج النص؛ لأنها تربطه بسياقه الخارجي (البطاشي، ٢٠١٣). وقد ظهر هذا النوع من الإحالة في مواضع مختلفة في سورة يوسف التي تناولت معظم آياتها قصة يوسف. وقبل البدء بتحليل مواضع الإحالة المقامية بالضمير في سورة يوسف يمكن للباحث حصر المراجع الخارجية التي أحالت إليها الضمائر في النص، والمراجع كالآتي:

- ١ . (الله) عزوجل.
- ٢ . القرآن الكريم.
- ٣ . أهل مكة.
- ٤ . النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٥ . يوسف عليه السلام.
- ٦ . يعقوب عليه السلام.
- ٧ . إخوة يوسف.
- ٨ . امرأة عزيز مصر.
- ٩ . الفتيان صاحبا يوسف في السجن.
- ١٠ . أحد الفتيين في السجن.
- ١١ . ملك مصر.

٥ . الإشارة إلى كتاب: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي.

يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَرْتِكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ [سورة يوسف: ٧٨]. حيث إن مرجع الضمير في كلمة (له) في الآيتين: أخو يوسف الأصغر (بنيامين)، وهو غير مذكور في النص، والإحالة هنا تفهم من مقام النص.

لقد أسهمت الإحالة المقامية بضائر الغائب في المواضيع السابقة، في ربط النص بمقامه الخارجي، وتعلق معاني النص بالسياق الخارجي الذي يفهمه المتلقي، ويفهم مراجع الإحالة وفقاً لذلك.

(ب) الإحالة المقامية بضائر المخاطب:

وردت ضمائر كثيرة للمخاطب في سورة يوسف وأحالت إحالة مقامية إلى خارج النص، وتنوعت الضمائر إلى ضمائر متصلة، وضمائر منفصلة، والأمثلة عليها ما يأتي:

ورد ضمير المخاطب المفرد المذكر (أنت)، وأحال إحالة مقامية في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف مخاطبين أباهم يعقوب: قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [سورة يوسف: ١٧]. حيث يحيل ضمير المخاطب (أنت) إحالة مقامية إلى يعقوب عليه السلام، وهذه الإحالة المقامية يفهمها متلقي النص وفقاً لسياقه، فالخطاب موجه من أبناء يعقوب عليه السلام إلى أبيهم.

وورد ضمير المخاطبين (أنتم) وأحال إحالة مقامية في عدد من آيات سورة يوسف، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة يوسف: ١٣]. وقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ [سورة يوسف: ٧٧]. وقوله تعالى: قَالَ هَلْ

١. الآية (٧١): (قالوا، أقبِلوا): مرجع الإحالة: أصحاب العير. (عليهم، تفقدون): المرجع: رجال الملك.
٢. الآية (٧٢): (قالوا): مرجع الإحالة: رجال الملك. (به): المرجع صواع الملك. (به): المرجع حمل بعير.
٣. الآية (٧٣): (قالوا): مرجع الإحالة: أصحاب العير.
٤. الآية (٧٤): (قالوا): مرجع الإحالة: رجال الملك. (جزاؤه): المرجع: سارق صواع الملك.
٥. الآية (٧٥): (قالوا): مرجع الإحالة: أصحاب العير. (جزاؤه، رحله، جزاؤه): المرجع: سارق صواع الملك.
لقد أسهم مقام النص الخارجي في فهم مراجع الإحالة في الآيات السابقة رغم كثرة الضمائر، واختلاف المراجع.

كما ورد ضمير الغائبين (هم) في أحد مشاهد قصة يوسف عليه السلام، فأحال إحالة مقامية إلى خارج النص. قال تعالى على لسان يعقوب: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [سورة يوسف: ٨٣]. حيث يحيل الضمير (هم) إحالة مقامية إلى يوسف، وأخيه بنيامين، وأخيها الأكبر (محمود الزمخشري، ٢٠١٢)، رغم عدم ذكرهم في سياق النص.

ومن المواضيع التي وردت فيها ضمائر الغائب وأحالت إحالة مقامية في سورة يوسف، قوله تعالى حكاية عن يوسف: قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ [سورة يوسف: ٢٦]. حيث يحيل ضمير الغائبة (هي) إحالة مقامية إلى خارج النص، ومرجع الإحالة امرأة عزيز مصر (يونس، ٢٠١٣).

ومن الإحالة المقامية باستعمال ضمائر الغائب في سورة يوسف، ما ورد في الآيتين: (٧٧-٧٨) في السورة، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ [سورة يوسف: ٧٧]. وقوله تعالى: قَالَ هَلْ

يوسف عليه السلام. ويفهم القارئ مرجع إحالة الضمير (كَمْ) اعتماداً على فهمه للسياق الخارجي للنص.

واستعمل ضمير المخاطب المفرد المتصل (ك) في سورة يوسف في سبعة وعشرين (٢٧) موضعاً، وأحال في هذه المواضع كلها إحالة مقامية حسب سياق النص. كما استعمل ضمير المخاطب (ت) في ثلاثة مواضع، وأحال فيها إحالة مقامية. فمن المواضع التي ورد فيها ضميراً المخاطب (ك)، (ت): قوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ [سورة يوسف: ٣]. حيث ورد الضمير (ك) مرتين، والضمير (ت) مرة، ومرجع الإحالة إلى خارج النص، والمخاطب في الآية النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فالإحالة هنا إحالة مقامية.

وفي قوله تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ [سورة يوسف: ١٠٢-١٠٣]. يحيل الضمير (ت) إحالة مقامية إلى نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يرد اسم محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا صفته في سياق الآيات، لذا فإن الإحالة هنا إحالة مقامية خارجية.

ويلاحظ في الآيات (٣، ١٠٢، ١٠٣) بعد الموضع الأول الذي ورد فيه الضمير (ت) عن الموضعين التاليين له في سياق النص، حيث ورد الضمير في الموضع الأول في بداية السورة، ثم ورد في موضعين متتاليين في ختام السورة، وبين الموضع الأول والثاني ذكرت قصة يوسف بتفاصيلها كاملة، في نص بلغ طوله سبعة وتسعين (٩٧) آية من القرآن الكريم. وقد أدى ذلك إلى تعلق آيات السورة بعضها ببعض من جهة، وتعلق النص بمقامه الخارجي من جهة أخرى.

ومن ضمائر المخاطب المتصلة في سورة يوسف ضمير المخاطبين المتصل بالفعل الماضي (تُمْ)، حيث ورد هذا

عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ [سورة يوسف: ٨٩]. حيث يحيل الضمير (أنتم) في هذه المواضع الثلاثة إحالة مقامية إلى إخوة يوسف ما عدا بنيامين، حيث يخاطبهم والدهم يعقوب في الآية الأولى، ويخاطبهم أخوهم يوسف في الآيتين الأخريين، وتفهم هذه الإحالة استناداً إلى مقام النص.

كما ورد ضمير المخاطبين المتصل بالاسم أو الحرف (كَمْ) في سورة يوسف في سبعة وعشرين (٢٧) موضعاً، وأحال في هذه المواضع إحالة مقامية، ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ [سورة يوسف: ٢]. حيث يحيل ضمير المخاطبين (كَمْ) إلى خارج النص، ومرجع الإحالة (المخاطبون بالقرآن) وهم العرب الذين بُعث لهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

كما استعمل ضمير المخاطبين (كَمْ) مرتين، في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: أَفَقُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرُحُوهُ أَرْضًا يَحُلُّ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ [سورة يوسف: ٩]. حيث يحيل الضمير المجرور (كَمْ) إلى خارج النص، ومرجع الإحالة إخوة يوسف الذين يُحدث بعضهم بعضاً بهذا التآمر على يوسف، ولم يُذكر مرجع الإحالة في النص. ويفهم المتلقي مرجع الإحالة هنا وفقاً لفهمه السياق الخارجي للنص.

وفي قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]. يحيل ضمير المخاطبين (كَمْ) إلى خارج النص، ومرجع الإحالة أسرة

المشددة هنا اختصار لضمير جمع المؤنث المخاطب (كنّ)، واتصل الضمير باسم الإشارة (ذلك)؛ لأن الخطاب موجّه إلى النسوة، وهذا استعمال خاص في القرآن الكريم.

واستعمل في سورة يوسف ضمير جمع المؤنث المخاطب المتصل بالفعل الماضي (تُنّ)، مرتين فقط في موضعين في السورة، وأحال الضمير (تُنّ) إحالة مقامية إلى خارج النص. وذلك في قوله تعالى في الآية السابقة: قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَأْمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصّٰغِرِيْنَ ﴿٣٢﴾ [سورة يوسف: ٣٢]. حيث يحيل ضمير جمع المؤنث المخاطب المتصل بالفعل (لُمْتُنَّنِي) إحالة مقامية إلى خارج النص، ومرجع الإحالة (النسوة اللاتي قطعن أيديهن). ويفهم المتلقي مرجع الإحالة؛ لأن سياق الآيات أشار إلى حديث النسوة قبل هذه الآية، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٣٠﴾ [سورة يوسف: ٣٠].

الموضع الثاني الذي ورد فيه الضمير (تُنّ)، قوله تعالى: قَالِ مَا حَظُّبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ قَالَتِ امْرَءَاتُ الْعَزِيزِ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٥١﴾ [سورة يوسف: ٥١]. حيث يحيل ضمير جمع المؤنث المخاطب (تُنّ) إحالية مقامية إلى خارج النص، ومرجع الإحالة (النسوة). ويفهم القارئ مرجع الإحالة هنا استناداً إلى مقام النص، فالحوار وقع بين ملك مصر والنسوة اللاتي تأمرن على يوسف، حيث أحضرهن الملك، وخاطبهن، واستمع إلى أقوالهن.

ومن ضائير المخاطب المتصلة التي وردت في سورة يوسف وأحالت إحالة مقامية إلى خارج النص، ضمير المفردة

الضمير في تسعة مواضع في السورة، وأحال في هذه المواضع إلى خارج النص. فمن المواضع التي ورد فيها الضمير (تُمّ)، قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوْا يُوسُفَ وَالْقَوْهٖ فِي غَيَّبَتِ الْحُبِّ يَلْتَقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ ﴿١٠﴾ [سورة يوسف: ١٠]. حيث أحال الضمير المتصل بالفعل (كتتم) إلى إخوة يوسف باستثناء القائل، والإحالة هنا إلى خارج النص.

وورد ضمير جمع المؤنث المخاطب المتصل بالاسم أو الحرف (كُنّ) في سورة يوسف، في أربعة مواضع، وفي أحد هذه المواضع ورد اختصار له في استعمال قرآني خاص، وأحال في هذه المواضع الأربع إحالة مقامية حسب وروده في سياق الآيات. فالموضع الأول والثاني لاستعمال الضمير (كُنّ) في قصة يوسف: قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَىٰ قَيْصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيْمٌ ﴿٣٨﴾ [سورة يوسف: ٢٨]. حيث أحال الضمير (كُنّ) مرتين إحالة مقامية، ومرجع الإحالة (معشر النساء).

الموضع الثالث قوله تعالى: قَالَ مَا حَظُّبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ قَالَتِ امْرَءَاتُ الْعَزِيزِ الْحَقُّ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٥١﴾ [سورة يوسف: ٥١]. حيث يحيل ضمير جمع المؤنث المتصل (كُنّ) إحالة إلى خارج النص، ومرجع الضمير (النسوة)، ولم يُذكرن في سياق الآية.

أما الموضع الرابع فقد استعمل فيه الضمير (كُنّ) بلفظ مختصر، حيث تركب الضمير مع اسم الإشارة للبعيد (ذلك) عند خطاب جمع المؤنث (ذلكنّ). وقد ورد ذلك في قوله تعالى: قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَأْمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصّٰغِرِيْنَ ﴿٣٢﴾ [سورة يوسف: ٣٢]. فالنون

المتكلم في ربط النص بمقامه الخارجي. وتفصيل ذلك كالآتي:

ورد ضمير المتكلمين (نحن) في قوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة يوسف: ٣]. ومرجع الإحالة (الله عزوجل) الذي أوحى القرآن إلى محمد عليه الصلاة والسلام. ويفهم هذا المرجع من مقام النص، واستعمل ضمير الجمع هنا للتعظيم.

وفي قوله تعالى: إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٠﴾ [سورة يوسف: ٨]. مرجع الإحالة (إخوة يوسف)، والقائل هو أحد إخوة يوسف، واستعمل صيغة الجمع؛ لأن الإخوة متفقون على هذا القول. ويفهم مرجع إحالة الضمير (نحن) من مقام النص، حيث وصف إخوة يوسف أنفسهم بهذه الجملة الحالية: (ونحن عصبه)، أي رجال أكفاء (الزخشي، ٢٠١٢).

وتكرر استعمال ضمير جمع المتكلمين (نحن) للإحالة المقامية في آيات أخرى في سورة يوسف، من ذلك قوله تعالى: قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ اللَّذِئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٥١﴾ [سورة يوسف: ١٤]. والإحالة هنا تُفهم من مقام النص، حيث وصف إخوة يوسف أنفسهم مرة ثانية بأنهم (عصبه)، وكرر القرآن الكريم حكاية هذه الجملة الحالية عن أنفسهم: (ونحن عصبه).

وفي قوله تعالى: قَالُوا أَضَعَفْتُ أَحْلِيًّا وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمِينَ ﴿٤٤﴾ [سورة يوسف: ٤٤]. أحوال الضمير (نحن) إحالة مقامية إلى الملأ الذين كانوا يجلسون في مجلس ملك مصر في زمن يوسف عليه السلام، والإحالة بضمير المتكلم في هذه الآية هي إحالة حضورية تُفهم من مقام النص.

المخاطبة المتصل بالاسم أو بالحرف (ك)، وضمير المفردة المخاطبة المتصل بالفعل الماضي (ت). حيث ورد هذان الضميران في آية واحدة فقط في سورة يوسف، وأحالا إحالة مقامية إلى خارج النص، وذلك في قوله تعالى على لسان عزيز مصر مخاطباً زوجته: يُوَسِّفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ [سورة يوسف: ٢٩]. حيث أحوال الضميران (ك، ت) في الكلمات: (لذنبك، إنك، كنت)، إحالة مقامية إلى خارج النص.

ومن ضمائر المخاطب المستعملة للإحالة المقامية في سورة يوسف، ضمير المثني المنصوب (كما)، حيث ورد في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام مخاطباً صاحبيه في السجن: قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهٗ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِيَّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ [سورة يوسف: ٣٧]. حيث ورد الضمير (كما) مكرراً أربع مرات في هذه الآية، وأحوال في كل مرة إحالة مقامية إلى خارج النص، ومرجع الإحالة (الفتيان صاحبا يوسف في السجن). وورد في هذه الآية استعمال خاص في القرآن الكريم، وهو اختصار الضمير (كما) وتركيبه مع اسم الإشارة (ذلكما). إن استعمال الضمير (كما) في هذا الموضع في السورة للإحالة المقامية، وهو يختلف عن استعماله للإحالة النصية في الآية التي سبق ذكرها، وهي قوله تعالى على لسان يوسف: يَصْحَجِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ حَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ.

(ج) الإحالة المقامية باستعمال ضمائر المتكلم:

وردت ضمائر المتكلم للإحالة المقامية في قصة يوسف في مواضع كثيرة، واستعملت الضمائر المتصلة في معظم هذه المواضع، وقد أسهمت الإحالة المقامية باستعمال ضمير

وأحال إحالة مقامية حسب السياق الذي ورد فيه. ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤١﴾ [سورة يوسف: ٤١]. وقوله تعالى: وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة يوسف: ٢٣]. وقوله تعالى:

قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ [سورة يوسف: ٢٦]. وقوله تعالى: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ [سورة يوسف: ٣٣]. وقوله تعالى: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ [سورة يوسف: ٤٢]. حيث يحيل ضمير المتكلم (الياء) في هذه المواضع كلها إلى يوسف عليه السلام، ويُفهم مرجع الإحالة من مقام النص.

أما ضمير المتكلم المفرد (ت) فقد ورد في ثمانية مواضع في سورة يوسف، وأحال في هذه المواضع إحالة مقامية حسب السياق الذي ورد فيه. ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ [سورة يوسف: ٣٧-٣٨]. حيث يحيل ضمير المتكلم (ت) في الكلمات (نبأكُمَا، تركت، اتبعت)، إحالة مقامية إلى يوسف عليه السلام.

واستعمل ضمير المتكلم المفرد (أنا) في عدة مواضع في قصة يوسف، وأحال إحالة مقامية حسب الموضع الذي ورد فيه، مثال ذلك قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ [سورة يوسف: ٤٥]. ففي هذه الآية يحيل الضمير (أنا) إحالة مقامية إلى المتكلم وهو (صاحب يوسف في السجن) الذي أصبح ساقياً للملك.

ووردت ضمائر المتكلم المتصلة في سورة يوسف في مواضع كثيرة، مثل ضمير المتكلمين (نا) الذي ورد إحدى وسبعين (٧١) مرة في السورة، متصلاً بالاسم، أو بالفعل، أو بالحرف. من ذلك قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ [سورة يوسف: ٢]. وقوله تعالى: فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ [سورة يوسف: ١٥]. وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَنَّا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [سورة يوسف: ٢١]. وقوله تعالى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَانَ رَبِّهَ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ [سورة يوسف: ٢٤]. حيث يحيل الضمير (نا) في هذه المواضع كلها إحالة مقامية إلى (الله عزوجل) الذي أنزل القرآن على محمد، وأوحى إلى يوسف وهو في البئر، ومكّن له في أرض مصر، وصرف عنه السوء والفحشاء. واستعمل ضمير الجمع (نحن) في مواضع كثيرة في سورة يوسف، بلغ عددها سبعة وسبعين (٧٧) موضعاً،

وورد ضمير المتكلم المفرد (الياء) في مواضع كثيرة في سورة يوسف، بلغ عددها سبعة وسبعين (٧٧) موضعاً،

سادساً: قد تستعمل ضمائر الغائب للإحالة المقامية في القصص القرآني (سورة يوسف نموذجاً)، فيساعد السياق والموقف الخارجي للنص في فهم مرجع الإحالة، وهذا يخالف بعض دراسات لسانيات النص التي أشارت إلى أن استعمال الضمير للإحالة المقامية يتمثل بضمائر الحضور (المتكلم والمخاطب) فقط.

سابعاً: قد يُستعمل ضمير الغائب المفرد في الإحالة إلى مقطع في النص في القصص القرآني، مثل استعمال اسم الإشارة المفرد لهذا النوع من الإحالة.

المراجع العربية:

أبو شارب، صالح. (٢٠١٣). *السبك والحبك في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء اللسانيات النصية* (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان.

ابن هشام، عبد الله. (١٩٩١). *مغني اللبيب عن كتب الأعراب*. تحقيق: محمد عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

إسماعيل، نائل. (٢٠١١). الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية. غزوة: مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد (١٣)، ١٠٦١ - ١١٠٠.

البطاشي، خليل. (٢٠١٣). *الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب*. عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع.

بوترعة، عبد الحميد. (٢٠١٢). الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية. *الجزائر: مجلة الأثر*، (١٦)، ٩١ - ٩٨.

الجويني، خميس. (٢٠٠٥). *استراتيجيات الاستنتاج والاستدلال في القراءة وفهم النصوص*. الرياض: مجلة جامعة الملك سعود، (١٨)، ٧٣ - ٩٨.

خطابي، محمد. (٢٠١٢). *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*. بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة.

خليل، إبراهيم. (٢٠٠٧). *في اللسانيات ونحو النص*. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

الراجحي، عبده. (١٩٩٩). *التطبيق النحوي*. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

ومن مواضع الإحالة المقامية التي استعمل فيها ضمير المتكلم (ت)، قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٧﴾ [سورة يوسف: ٦٧]. حيث يجيل ضمير المتكلم المتصل بالفعل (توكلت) إحالة مقامية إلى يعقوب عليه السلام.

لقد أسهمت الإحالة المقامية باستعمال ضمير المتكلم، في ربط النص بسياقه الخارجي. وقد دلت هذه الإحالة المتكررة إلى يوسف، على أهمية شخصه في القصة، إذ إن معظم الأحداث تدور حوله، لذلك كثرت الضمائر التي تحيل إليه.

خاتمة

بعد هذا التطواف في الإحالة النصية، ومواضع الإحالة بالضمير في سورة يوسف، يستطيع الباحث أن يثبت النتائج الآتية:

أولاً: الإحالة بالضمير أشهر أدوات الإحالة النصية، والإحالة المقامية، في القصص القرآني (سورة يوسف نموذجاً)، ويتعلق فهم أحداث النص القصصي في القرآن بتحديد مرجع الضمير ومعرفته. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة إسماعيل (٢٠١١)، ودراسة فجال (٢٠١٣).

ثانياً: معظم ضمائر الإحالة النصية في القصص القرآني (سورة يوسف نموذجاً)، هي ضمائر الغائب.

ثالثاً: تُستعمل ضمائر الحضور (المتكلم والمخاطب) للإحالة النصية في القصص القرآني، وذلك عند سرد الحوارات بين شخصيات القصة (قصة يوسف نموذجاً).

رابعاً: معظم الإحالات النصية باستعمال الضمائر في سورة يوسف هي للإحالة القبلية، وهذا يثبت أن الإحالة القبلية هي الأكثر وروداً في النصوص العربية. ويتفق هذا مع نتائج دراسة فجال (٢٠١٣).

خامساً: ظهرت الإحالة المقامية بالضمائر في سورة يوسف في مواضع كثيرة، فأسهمت في ربط النص بالموقف والمقام الخارجي.

الزخشري، محمود. (٢٠١٢). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار ابن حزم.

الزناد، الأزهر. (١٩٩٣). *نسيج النص بحث فيما يكون به المملفوظ نصاً*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

زواوي، ليندة. (٢٠١٦). *الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام*. قسنطينة، الجزائر: مجلة الآداب، جامعة الإخوة منتوري، (١٦)، ٢٨٨ - ٣٠١.

العامري زيد واليوسف، هشام. (٢٠١٤). *من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني الحذف في سورة يوسف نموذجاً*. الرياض: مجلة جامعة الملك سعود، (٢٦)، ١٦٥ - ١٨١.

عبد الرحمن، طه. (٢٠٠٠). *في أصول الحوار وتجديد الكلام*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية.

فجّال، أنس. (٢٠١٣). *الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني*. الأحساء: نادي الأحساء الأدبي.

المتوكل، أحمد. (٢٠١٣). *قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية*. بيروت: منشورات ضفاف.

موسى، أيمن. (٢٠١٥). *في لسانيات النص*. القاهرة: دار عالم الكتب.

نحلة، محمود. (٢٠١١). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. القاهرة: مكتبة الآداب.

المراجع الأجنبية:

Richards, Jack, and Schmidt, Richard. (2010). *Longman Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics*. Edinburgh: Pearson Education Limited, 4th edition.